

العزلة الصغير

عَلَىٰ بَابَا

“والأربعين عاماً”



على بابا فغبرا جدا اما قاسم فقد كان غيبا ، فزوج امرأه غيبة . وكان على بابا يكسب رزقه من قطع الخشب ويبيعه .

وفي أحد الأيام ذهب علي بابا الى الغابة كعادته وجاء رأى سحابة كبيرة من الصبار على مسافة بعيدة . وحسب انها عصابة من القصور فتقرب منه فسلق شجرة واختفى بين أغصانها .

فتربد الرجال ودفعوا بالعرب من جذع الشجرة حيث برجلوا على حيولهم واستطاع علي بابا أن يخدمهم من مكانه فوجدهم أربعين شخصا كان كل واحد منهم يحمل أكياسا مملئة على علي بابا انها تحوي ذهبا ونقشة .

فقدم زعيم القوم من مخرج كانت بالعرب من الشجرة التي كان علي بابا مختفيا فيها وقال الرجل : « افتح يا قاسم » وحسبنا ذل هذا فتح باب في الشجرة ودخل منه جميع الرجال ومن ثم أطلق الباب خلفهم .

لم يعرف علي بابا ماذا يعمل . ولم يستطع أن يتزل من الشجرة التي تحسب من أغصانها إذ لو فعل ذلك فقد رآه أحد القوم قبل أن يتمكن من الهرب وسيفعل لأنه اكتشف المكان الذي يختبئون فيه فسمع على الإنظار .

وبعد وقت قصير فتح الباب مرة ثانية وخرج القوم وعددهم فأندهم وبعد ذلك صباح : « اقبل يا قاسم » وأطلق الباب . وانطلق القوم حياتهم وذهبوا .

وحسبنا بأك على بابا أن القوم قد ذهبوا بول من الشجرة . ورأى الباب الموجود في الشجرة خلف بعض الشجيرات الضخمة فأنهجه بحدوه وقال : « افتح يا قاسم » . وفتح الباب في الحال . ودخل علي بابا ولقد لما كانت دهشته جبنا وحذرنه في غرفة كبيرة جدا مضادة بوز التسمم الذي يدخل اليها من ثقب الشجرة . وثقلت على بابا حوله فرأى أكواما من الذهب والنقشة . والأفضلة الخزفية والسجاد الفاخر . فحمل ما استطاع من أكياس الذهب وغطاها بالعشب كي لا يراها أحد . وخرج من الكهف وقال : « اقبل يا قاسم » . وأطلق الباب في الحال .

ولما عاد علي بابا الى بيته زادت رغبته في كسب اكياس الذهب فطلب أول الأمر انها سروده ولكن جبنا روى لها علي بابا القصة فحسبته تشرأ . ودفعها في أرض بينهما . وحذر علي بابا من أن يجر أحدا . وراى

زوجته على بابا أن تكسب الذهب فخرجت من البيت الى بيته فاسم وثقلت من زوجها وهذا لتكبل به . وكانت زوجة قاسم مائة فارتأت أن تعرف ماذا يريد علي بابا وزوجته أن تكيلا فالتفت بالوجه قطعة عجن . ولما أعادت زوجة علي بابا الوعاء رأت زوجة قاسم قطعة ذهب لاصقة به ففكرت أن على بابا كمال به ذهبا فخرجت زوجها بالقصة حينما عاد في المساء الى البيت . فذهب قاسم الى أخيه وسأله من أين حصل على هذه الثروة فأخبره علي بابا بالقصة . وعرض عليه أن يعطيه نصف الكثر . ولكن قاسم كان النابا وحماقا فلم يكتف بنصف الكثر فهدد أخاه بانه سيخبر السلطان أن لم يذله على مكان الكثر . وطريقة فتحه .

ورضع علي بابا للهدية وأخبر أخاه بكل شيء . فذهب قاسم الى الكهف وقال : « افتح يا قاسم » ففتح الباب ودخل قاسم وحمل ما قدر عليه من الكنوز والجواهرات القيمة ثم أراد أن يخرج لكنه سمى كلمة السر التي تفتح الباب فمقل حائرا . حتى توجه بوصول القوم ووجدوه داخل الغرفة نهبوا بقلبه ولكنه طلب منهم أن يبقوا على حياتهم مقابل أن يدايم على من اكتشفهم فاسم وشرق كسرهم وذله على مكانه . واقترح عليهم أن يخفي زعيمهم في شكل تاجر ويضع رجاله في الجرار كثيرة يحملها البغال بحيث تصل الى بيت علي بابا عند المساء فيستأذنه التاجر في أن يعطى للهدية خوفا على نظراته . وسند منتصف الليل يخرج الرجال من الجرار ويقتلون علي بابا وسلبوا كل ما في قصره . وفعلوا قسرا . فخرج علي بابا بالتاجر وحسب انه أرفه في منزله بعد أن وضع الجوار التي وعم أنها سلووه زينا . في ساحة البيت .

وفي الليل نفذ زب أحد المصاييح وانطاد . ولم يكن في البيت رسة ففكرت الخادمة في أن تملأ المصباح من إحدى جرار التاجر دون أن يتر ذلك عليه . ولم تكذب فغرب من إحدى الجرار حتى سمعت حسا فسمعت جبنا وإذا صوت رجل في داخل الجرة يقول : هل حان الوقت أيها الولي . ففرعت الكبد القدره . وأسرع الى علي بابا وقالت له ان المصباح الذي بييت في منزلك ليس تاجرا بل هو زعيم عصابة للقوم يختبئ رجالها داخل الصبار . فاستدعى علي بابا رجال الشرطة وأبشوا على القوم وسألوهم الى الوالي الذي أمر بتسليمهم جميعا ومن بينهم قاسم . اما الغلامه الذكية فقد كافأها علي بابا بصلح كبير من النقود وزوجها لابن أخيه قاسم .



أثنى عدد قليل من المعلقين بفضل العديد من مصلحيه أساسية . ولكن البقية الترسخ راحلة في الولايات
الأمريكية الجنوبية ثابت بخطر كل من عامل التصديقاته حسنة . وهذا عند يعمل خادما في أنه أصغر
الامر القوية في ظروف أفضل من تلك التي يعمل فيها الزناني في المزارع .



كان الكريج هو رموز السلطة وأداة الطغاة . وكان أصحاب المزارع يترفعون جديده في العمل التناق ما بين ١٥
و ١٦ ساعة يوميا . ولم يكن أصحاب المزارع يترفعون الرحمة أو الشفقة في معاملته جديده .

قصّة التمييز العنصري فأمريكا

وأوروبا وترجم إلى أكثر من مليون لغة
سما اللغة العربية . لقد كان الكتاب
خجوما على نظام الرق والعنصرية في أمريكا
كما كان ينطوي على قصة مؤثرة
وتحقيقات لا تسفي . ولم يكن في الامكان
تجاهل الكتاب أو أهمله لأنه يستند إلى

الكتاب هو « أوج العبيد » . وهو
واحد من أكثر الروايات التي كتبت على
الاطلاق مباحثا . فقد بيع منه ثلاثمائة
المائة نسخة في سنة واحدة وهو رقم
قياسي في تلك الأيام . وقد أصبح الكتاب
مشهورا في جميع أنحاء الولايات المتحدة

في شهر مارس من عام ١٨٥٢ لتسلي
تزايد في الولايات المتحدة كان له تأثير
ليس على الزحف العراء . وعلى مستوى
أمريكا .

ومؤلفة الكتاب هي هاريت بيتشر
ستو . زوجة استاذ أمريكي . وأصبح

جوانب دامية ويصور الحالة السيئة المظلمة المرعبة للعبيد في بلد منحصر كالولايات المتحدة .

لقد شرح كتاب « كوخ العم نوم » في أسلوب قصصي مقنع والإعتماد الذي كان يصر ويتزايد في الولايات الشمالية لسنوات عديدة - وهو أن الرق نظام خاطئ إطلاقا ولا يجدر بأمة عظيمة تمت وترعت في ظل الكفاح من أجل الحرية أن تعلمه .

لقد قال أهل الولايات الشمالية : أن العبودية يجب أن تنهى بطريقة ما ، وذلك حينما أدركوا بأسواقهم لأبرامهم تكون سنة ١٨٦٠ . ولكن أهل الولايات الجنوبية أحابوهم حينما انفصلوا عن الاتحاد فاقبلوا : ولكنه لا يمكن أن تنتهى لأن نهايته معناها دمارنا .

ولكن السؤال هو كيف حدث كل ذلك .

العبيد الأوائل

يبدأ نظام الرق - العبودية - في الأقاليم البريطانية في أمريكا عام ١٦١٩ حينما أقرت سفينة هولندية شحنة من العبيد جاءت بهم من ساحل غينيا ليبيع من أجل العمل في مزارع التبغ وبعد ذلك تم شحن أكثر فاكتر من الونوج إلى المستعمرات الأمريكية ولم يأت عام ١٧٧٦ إلا وقد أصبح عبيد العبيد في أمريكا نصف مليون عند تقريبا . كان البريطانيون يسمطرون على أكثر من نصف تجارة الرقيق الأمريكى وكانت ١٩٢ سفينة تستطيع حمل ٤٧٠٠٠ عبد لبحر سنوية من الموانئ البريطانية : من ليربويل ولندن وبريستول . ويزيدوا الطلب على العبيد أخذ تصار الرقيق يتكون القارات على القرى الواقعة في داخل أفريقيا ، وكانت القوافل التجارية تبع أعداها كي تسير في زوايد الأعداء الآخرة من العبيد لسد الحاجة المتزايدة لهم . وكان الأسرى يرفعون من منازلهم ويساقون وسط الغابات كالحيتونات تحت أسيب الشمس لأيام عديدة إلى أن يصلوا إلى الساحل - وهناك يكون التجار الأوروبيون موجودين لمقابلتهم ويحبسهم وكان التماس منهم والأسلحة يوسعون بواسطة قطعة حديد محفصة بالتجارة ويحبسون في السفن كقطعان أبقية .

عبور الأطلسي

كانت الرحلة من أفريقيا إلى أمريكا - وبصرف بالطريق المتوسط - تستغرق شهرين وكانت مرعبة مخيفة للأفريقيين الذين كانوا يحشرون حثرا على ظهر السفن في أحوال غير سوية إطلاقا . مكثت بالقيود والسلاسل الحديدية . وكان ربع العبيد يموت سنويا أثناء الرحلة من الضيق والأمراض التي كانت تنتشر بينهم انتشار النار في الهشيم .

ولم يأت منتصف القرن التاسع عشر حتى كان عدد العبيد في أمريكا قد وصل أربعة ملايين ولكن ٥٠ ألفا من هؤلاء فقط كانوا يعيشون في الولايات الشمالية . وكلما أخذ سكان الولايات الشمالية يمارسون نظام الرق أكثر فاكتر كان أهل الجنوب يصرن في الدفاع عن هذا النظام الخاص ويستفيدون منه في كل أجزاء الجنوب في ولايات ميرجيسيا وكارولينا الشمالية وجورجيا والمسيبي ولويزيانا . لقد كان العبيد يشكلون جزءا حيويا من اقتصاد تلك الولايات وصعدوا هاما للأبدى العاملة وهم فوق ذلك كله يعتبرون أموالا قيمة . كان معظم العبيد تابعين لكبار أصحاب المزارع والأقطاعين وكانوا يشتقون في زراعتهم القطن وقصب السكر ومستحضرات الأرز . وقد كان لانتشاف محاليل القطن التي تفرز القطن عن بذره ، أصعب في جعل القطن أهم المحاصيل في الجنوب ولما كانت لزراعة القطن لا تحتاج إلا لمهارة قليلة فقد كانت أسر يكاملها من الونوج تستخدم كعمال تحت إشراف مراقبين .

الظروف التي كان العبيد يعيشون فيها

كانت بعض حالات المزارعين التي تملك الأرض والعبيد لعدة أجيال تعطف على هؤلاء العبيد ويعاملهم معاملة آساية وتعجز معها هذا . وكان العبيد الذين يعملون في البوت يعملون بمعطف خاص ويعشرون كجزء من الأسرة . ولكن الأرستقراطيين في الولايات الجنوبية الذين كانوا يملكون كل من معامل العبيد معاملة سيئة كانوا غلة ولا يعشرون جزءا شبيها من مملووع مائلك العبيد . وحتى هذه القلة لم تسلم معاملة عبيدهم من بعد موت صاحب الحرية فزعم أن الأرواح والروحوات والآباء والأطفال كثيرا ما كانوا يرسلون إلى أجزا معتسفة من البلاد ولا يتفقون أبدا .

كان أصحاب المزارع يرفعون العبيد إلى الأعمال الشاقة إذ كان هؤلاء العبيد يعملون من ١٥ - ١٦ ساعة يوميا أثناء موسم الحصاد مما يسبب أضرارا جسيمة لصحتهم . وكان الكرياج عوادة العقاب وكان يرمي السلطة وسعراها .

ومن مائلك العبيد من هو أقل عنفا وسوء في معاملة عبيده . وليس السبب في ذلك هو الشعور الإنساني بل أن امتناعهم عن استعمال القسوة والعنف سببه أن قيمة العبيد تقل إذا ما أصيبوا بمرض جسيمة . لقد كان لأصحاب المزارع الذين هم في الوقت نفسه مائلك العبيد سلطان ليس له حدود على عبيدهم ولم يكونوا يرسلون الرحمة أو التسفقت معانيتهم . وكان العبيد الهاربون يطاردون وبسطادون بواسطة كلاب الصيد المتوحشة وبواسطة بنادق الصيد وعافون بوحشية . وحتى في حالات الغفل لم يكن لشهادة العبيد ضد الرجل الأبيض أي وزن . وكانت أجيال العبيد الأفريقيين المتلاحقة تضر على الشعور بالضعف والتقص سبب لون بشرتهم كما توضع في مركز يجعلها تعتمد اعتمادا كليا على سائنها الذين يستعملون بالقوة والسلطة .





كانت المثلثة كان العبيد ويخطفون ويحشرون في السفن التي كانت تنقلهم من إفريقيا إلى أمريكا عبر المحيط الأطلنطي وهم مكبلون بالسلاسل ولا يكونوا قد ربحوا نقطة من الحديد المعبى . وكانت ١٩١ سفينة تبحر من القارة البريطانية سنويا إلى أمريكا وتبلغ حمولتها حوالي ١٧٠٠٠ عبء .

نهاية القصة

كانت هذه هي حالة العبيد في أمريكا قبل سنة ١٧٨٥ وما بعدها عندما كانت مسألة بسط نظام الرق والتمسك به في الولايات المتحدة في الغرب . وقد أثار ذلك سنة ١٧٩١ آخر وهو هل يجب أن تكون شعب الولايات المتحدة نفسه حراً ويعتبه مبدأ ما أدى إلى قيام الحرب الأهلية الأمريكية سنة ١٨٦١ . وانتهت الحرب حتى تمسح أمريكا سنة ١٨٦٥ وفي ديسمبر ١٨٦٥ أخرى لتعديل طمس الدستور التي بموجبها نظام الرق إلى الأبد في جميع أنحاء الولايات المتحدة وهكذا انتهت العبودية في أمريكا قبل بواحدة . أو قبل ثلاثة أجيال . ولم يتمسك نظام الرق في أمريكا بعد هذا النظام في المستعمرات البريطانية واستمر حتى سنة ١٨٣٣ ولم يلغ إلا بعد مفاوضات شاقة . ولذلك مارست هذا النظام دول أوروبية أخرى : مملكة : هس برنسا والبرتغال وهولندا والهند .